**العقدة العصية**

16-02-2021 | 00:00 **المصدر**: النهار

**د. عادل عقل**

**اختصاصي طب وتحليل نفسي**

منذ حوالي الفين وخمسماية سنة تخبرنا أسطورة هذه العقدة ما حصل في بلاد الفرس. إنها العقدة غير القابلة للتفكّك فتدخّلت القوى الأرضية والماورائية والعرافات دون جدوى. جاء المنقذ بشخص الإسكندر الكبير المقدوني وكان الحلّ بقطعها بالسيف.

في جمهورية لبنان حكومة تتلطّى وراء الإستقالة وأخرى يستحيل تأليفها فأين العوائق والعقد وما خلفياتها.

طبعاً نشاهد صراعا بين الساعين إلى التأليف والبناء من جهة والساعين الى التعطيل من جهة أخرى. هؤلاء لهم مصالح وقناعات يسعون لتحقيقها. هذه قوى الخارج.

أما في الشق الداخلي ورغم تعدّد المصالح تبقى الصراعات سيدة المواقف.

يبرز هنا الخلل في الذات الشخصية للمسؤولين. بلد صغير المساحة قادته يستهوون العلل ويتجنّبون الحلول. بلد مأزوم ومسؤولون أقزام. شعب مستضعف يُغرقونه بأزمة كورونا والسلالات المستجدّة. ونوعية اللقاحات وحسناتها ومساوئها وكلفتها وكيف ستوزّع، بانتظار الحسنات من دول الخارج.

كما في الطبيعة توجد عاهة تكوينية هكذا في مسؤولينا مكون معتل. من الممكن إستئصال هذه العلّة في المجتمعات المنتظمة سواء بالإنتخاب لتغيير النخب وإما بالقانون والمحاسبة. هنا العقدة الصعبة.

إنّ العلّة هي في إنتفاخ "الأنا" عند المسؤول زائد جماعة حوله من مهلّلين ومستفيدين "يسمعون الكلمة". هذه الجماعة تغذّي عند المسؤول أنانيته، عصبيته، قبليته وطائفيته. فبدل أن يعقلن أحاسيسه ينجرف إلى إغراق عقله بهوى أحساسيه.

هذه الحالة تطبع أكثر جماعات التواصل فتصبح متاريس وهمية أو أبواق بعيدة عن طرح الحلول. هذا يغذّي القلق والخوف بين الجماعات الطائفية بينما الملاذ الآمن هو بناء الدولة الحاضنة العادلة.

هذا الأذى الآتي من الدول الخارجية يتداخل مع جائحة (Covid 19) فيزيد من معطوبية الجماعات الداخلية. تتوقّف الحياة الإجتماعية هرباً من الوباء القاتل. تتحجّر المواقف السياسية فيتوقّف الإقتصاد وتُقفل المصارف وتُصبح الودائع متحجّرات (كما الأسماك المتجمّدة في الصخور منذ عهود).

أصبحنا في غربة داخل الوطن. والوطن يتهاوى ولا من مُنقذ.

ونسأل كيف لا ينزل الشعب إلى الشارع طالباً الحياة طالباً لقمة العيش. طالباً الأمان طالباً الحرية طالباً رؤية واضحة للمستقبل.

كيف لا وقد طفح المكبوت وتفجّر ولا من يبالي.

إذاً في السياسة نحن في عقدة (Noeud Gordien) بين الفرس والإسكندر الأميركي، نستلهم العرافيين لفكّ العقد.

بلد صغير في موقع جغرافي عرضةً للهزات الأرضية والأمنية والتجاذبات والأحلام القاتلة. تحوطنا الكوابيس في أحلامنا وفي وعينا. منطقة في غليان وتغيّر التحالفات، وتمزّق الكيانات. ونشهد تحضير دستور لسوريا في الخارج ونحن نطمح إلى قرار (Souverainiste) يحقّق اللحمة الوطنية فهل هذا ممكن في وقت نستجدي الخارج ونستقوي به. أما الحياد البنّاء فدونه عقبات، ومصالح ورغبات متناقضة. من يستطيع جمع الرغبات والطموحات والمصالح تحت عنوان واحد وموحّد. السؤال مطروح. من يقدر ومن يرغب ببنيان هذا الحياد وتحت مظلّة أممية.

ليس المسؤولون بل غيرهم هم طبعاً من يعي المصلحة العامة وأخذ القرارات في الإدارة والتبصّر في ما يمكن توقّعه. تطغي على مسؤولينا المشاطرات والتذاكي وإقتناص الفرص للمصالح الخاصة. هم الفساد الأكبر، فالفاسد يشتري ولاء الأقربين وإنكفاء الأعداء وسكوت الباقين.

أين الترفّع والأخلاق أين الهندسات الإجتماعية للتفعيل بدل الهندسات المالية الإغرائية وإفادة بعض المحظوظين. أين ترسيم الأهداف سياسياً بمعنى لبنان الوطن، لبنان الجمهورية لبنان العلم والمعرفة، لبنان التقنيات الحديثة، لبنان القناعة بالاقتصاد الحر والمقونن، لبنان الشراكة، بين العام والخاص، لبنان الإقتصاد الإنتاجي لا الريعي وخلق صندوق سيادي، لبنان المنفتح على الإقتصادات العالمية. من هذا المنظار نقارب أحلام الجيل الطال والإحاطة بالمقرّرين المعطوبين. جيل يعي مفهوم الضوابط والقوانين والأخلاق يبني الثقة لإدارة مقدرات الوطن.

هذا الجيل الراشد والجيل الطالع لن يكونوا إضاحي رغم الصعوبات. هذا جيل إستعادة الوطن المستقيم وهو قادر، هذا جيل لن يرمى في محرقة الجهل، هذا جيل عنده قدرة التوقّع والتخطيط للمستقبل، جيل يتعاون مع من يمكن مساعدته بعناية وصدق، هذا جيل لبنان الغد والممكن. علينا أن نكون واقعيين ونطلب المستحيل.